لغة المتنبي

أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القويم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيُهتدى لي فلم أقدر على اللحن

من قصيدته التي مطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول : لابارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى ارتكابَ ما فيه خطر على حياته أهونَ من ارتكاب ما فيه خطر على لغته . وفي البيت مسألتان : (خفت أعربها) من الفعل المضارع ، وتحريك حاء (اللحن) اتباعا للام وشاهدالاول قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » أي أن أعبد ، وقول طرفة ابن العبد :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

أي أن أحضر الوغى ، ومن هذا القبيل قولهم : مره يحفر بئراً أي أن يحفر ، وقولهم : خذه قبل يأخذك أي قبل أن يأخذك ، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع . والمتنبي كسائر فصحاء الكوفيين كثيراً ما يستعمل ذلك في قوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت تحترق العواذل بيننا

وقوله:

وما تسع الأزمان علمي بأمرها ولا تحسن الأيام تكتب ما أملي

وقوله أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وقوله في ثياب أهديت اليه:

أقر جلدي بها عليّ فلا أقدر حتى الممات أجحدها

ويسوغ أن يعود الفعل المضارع مرفوعا مع إضمار أن قبله لأن الحرف عامل ضعيف، فاذا أضمر زال أثره ولم يقو على الظهور، كما يسوغ أن يبقى منصوبا باعتبار ان المقدر كالثابت وعليه قول المتنبي:

توقهُ ومتى ما شئت تبلوه فكن معاديه أو كن له نشبا

في التي مطلعها:

دمعي جرى فقضى في الربع ما وجبا

وقرئ كما في الكشاف للزمخشري (أعبد) مرفوعا وقرئ منصوبا في سورة الزمر من قوله تعالى: « أفغير الله تأمروني أعبد »

وأما تحريك حاء اللحن بالفتح اتباعا للامها فهو من قبيل تحريك الهاء في نهر وزهر ودهر. قال أبو النجم:

يا جبلا طال معدا فاشمخر اشم لا يسطيعه الناس الدهر

قال ابن منظور في لسان العرب: إما أن يكون الدهر والدهر لغتين كما ذهب اليه البصريون في هذا النحو فيقتصر على ما سمع منه، وإما أن يكون ذلك فكان حروف الحلق فيطرد كما ذهب اليه الكوفيون اه. والمراد من اللحن في بيت أبي الطيب الخطأ في الكلام والعدول عن سنن الصواب فيه، ولم يرد شيئا من معانيه الاخرى كاللغة والفهم والفطانة والالغاز والتعريض والغناء والتطريب، وان كان لفظ اللحن مشتركا في ذلك كله. إن أبا الطيب في تمسكه بعربيته والتزامه فصاحة لهجة، وألفاظه مطبوع يجري فيه ذلك على مقتضى طبعه، فهو من أشبه الناس بالاعرابي الذي كان الترافع اليه ليكون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حكما بين سيبويه والكسائي فلم يستطع أن يلحن فيقول : فاذا هو اياها ولكن استطاع أن يكذب فيقول : الحق مع الكسائي ولو اكره على التلفظ بالنص المتلقش فيه لظهر أن الحق مع سيبويه ، لان لسانه لا يجري حينئذ الا بقوله : فاذا هو هي ، على ملذهب اليه سيبويه ، فكان احتمال عار الكذب عنده أهون من احتمال عار افساد لغته الفصحى الجميلة التي بها جاء أحسن الحديث وحيا ، كلما زدته تلاوة زادك حسنا وطلاوة . وليس أبو الطيب بدعا في عشقه لغة مضرية تجلت له من عرائسها :

وجوه لا تزال تزيد حسنا لمثل جمالها خلق الغرامُ

ومن أشباهه في الشنشنة ذلك الامير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان يكتب باللسان المبين اسماء الاطعمة التي يريدها في رقاع يبعث بها الى طاهيه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فيراجع ابن أبي إسحاق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الاطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يبطئ عليه في إحضارها فقال له :

ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطئ كأنك تريد بإبطائك أن تحملني على الصيام ، فقال له الطاهي : سهّلْ كلامك أسهلْ طعامك ، فقال له سيده : يا ابن اللخناء أفأدع عربيتي من أجل عيّك .

ولصحة الطبع في اللغة كان لفصحاء العهد الجاهلي وصدر الاسلام أعلى مقام بين طبقات أمراء الكلام ، وهيهات أن تظهر عبقرية البيان الا بسلامة الذوق وطلاقة اللسان ، ولقد أصاب المحز وطبق المفصل من قال :

نعم عون الفتى اذا طلب العلـ م ورام الآداب صحةُ طبع
فاذا الطبع خانه بطل السعـ ي وصار العناء في غير نفع

وقال المتنبي :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبـ عُ وعند التعمق الزللُ

لاجرم أن لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن ويتهاون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب كالاعرابي الذي كان يقول :

عجبت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم، وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه فقال : لولا القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان ، وليس ببعيد فارس الطخرور أبا محسّد وشعره شعره قول ابن خالويه فيه : إنه لم يكن يعرف أن البعير يستعمل بمعنى الحمار ، كأنه انفرد بمعناه ولم يحوه سواه .

عبد القادر المبارك

=« احتمال السخف أولى من الجهل بالعربية »=

أبو هاشم عبد السلام الجبائي من أئمة المعتزلة ، كان يأخذ علم النحو عن المبرد ، وكان في المبرد سخف ، فقيل لأبي هاشم : كيف تحتمل سخفه ؟ فقال :

— رأيت احتماله أولى من الجهل بالعربية ! !

(انظر ص ٥٦ من رسالة المعتزلة لاحمد بن يحيى المرتضى ، طبع حيدر آباد الدكن)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net